الكشف عن الاختلاف

الكشف عن الاختلافات الحديثية الواقعة في الأسانيد والمتون ليس بالأمر الهيّن اليسير ، بَلْ هُوَ أمر شاق للغاية ، ولا يتمكن لَهُ إلا من رزقه الله فهماً واسعاً واطلاعاً كبيراً . ومعرفة الاختلافات الواقعة في المتون والأسانيد لا يمكن الوصول إليها إلا بجمع الطرق والنظر فِيْهَا مع الْمَعْرِفَة التامة بالرواة والشيوخ والتلاميذ ، وكيفية تلقي التلاميذ من الشيوخ والأحوال والوقائع وطرق التحمل وكيفية الأداء من أجل مَعْرِفَة الخطأ من الصواب وكيفية وقوع الخلل والخطأ في الرِّوَايَة . وهذا يستدعي جهداً جهيداً ، قَالَ الحافظ ابن حجر : « هَذَا الفن أغمض أنواع الْحَدِيْث وأدقها مسلكاً ، ولا يقوم بِهِ إلا مَنْ منحه الله تَعَالَى فهماً غائصاً ، واطلاعاً حاوياً وإدراكاً لمراتب الرواة ومعرفة ثاقبة » [1] .

وَقَالَ ابن رجب الحنبلي : « حذاق النقاد من الحفاظ لكثرة ممارستهم للحديث، ومعرفتهم بالرجال وأحاديث كُلّ واحد مِنْهُمْ ، لَهُمْ فهم خاص يفهمون بِهِ أن هَذَا الْحَدِيْث يشبه حَدِيْث فُلاَن ، ولا يشبه حَدِيْث فُلاَن فيعللون الأحاديث بِذَلِكَ » [2] .

ويشترط فيمن يتكلم في العلل ويكشف عن اختلافات المتون والأسانيد أن يَكُوْن ملماً بالروايات مطالعاً للكتب واسع البحث كثير التفتيش ، لذا قَالَ ابن رجب الحنبلي : « ولابدَّ في هَذَا العلم من طول الممارسة ، وكثرة المذاكرة ، فإذا عدم المذاكرة بِهِ فليكثر طالبه المطالعة في كلام الأئمة العارفين كيحيى القطان ، ومن تلقى عَنْهُ كأحمد وابن المديني[3] وغيرهما ، فمن رزق مطالعة ذَلِكَ ، وفهمه وفقهت نفسه فِيْهِ وصارت لَهُ فِيْهِ

---

(1) النكت عَلَى كتاب ابن الصَّلاَح 711/2 .

(2) شرح علل الترمذي 861/2 .

(3) هُوَ علي بن عَبْد الله بن جعفر السعدي ، أبو الحسن البصري ، إمام العلل الناقد الهمام ، قَالَ البخاري : « ما استصغرت نفسي عِنْدَ أحد إلا عِنْدَ علي بن المديني » ، له : " العلل " ، توفي سنة (234 هـ) .
الجرح والتعديل 193/6 ، وتهذيب الكمال 269/5 (4685) ، وتاريخ الإِسْلاَم وفيات سنة (234 هـ) : 276 فما بعدها

قوة نفس وملكة ، صلح لَهُ أن يتكلم فِيْهِ » [4] . ويشترط فيمن يريد الكشف عن الاختلافات الحديثية أن يعرف الأسانيد الصحيحة والواهية . والثقات الذِيْن ضعفوا في بعض شيوخهم ، والثقات الَّذِيْنَ تقوّى أحاديثهم بروايتهم عن بعض الشيوخ ؛ لأنه مدار الترجيح وبه يعرف تعيين الخطأ من الصَّحِيْح .

وبالإمكان تنظير نقاط ندرك من خلالها الاختلافات سواء أكانت في المتون أم في الأسانيد ، يستطاع من خلالها كشف الوهم والاختلافات ، وكيفية التعامل مع ذَلِكَ تصحيحاً أَوْ تضعيفاً وكما يأتي :

أولاً. مَعْرِفَة من يدور عَلَيْهِ الإسناد من الرُّوَاة [5] :

إنّ مَعْرِفَة من يدور عليهم الإسناد من الرُّوَاة المكثرين الَّذِيْنَ يكثر تلامذتهم وتتعدد مدارسهم الحديثية ، فِيْهِ فائدة عظيمة لناقد الْحَدِيْث الَّذِيْ من همه مَعْرِفَة الاختلافات وكيفية التوفيق بينها ؛ لأن هَذَا يعطي صورة واضحة للأسانيد الشاذة أَوْ المنكرة ، واختلاف الناقلين عن ذَلِكَ المصدر .

وإنا نجد علماء الْحَدِيْث الأجلاء يهتمون بهذا أيما اهتمام ، فَقَدْ سأل عَبْد الله بن الإمام أحمد [6] أباه: « أيما أثبت أصحاب الأعمش ؟ فَقَالَ:سُفْيَان الثوري أحبهم إليَّ ، قلت لَهُ : ثُمَّ من ؟ فَقَالَ : أبو معاوية [7] في الكثرة والعلم – يعني : عالماً بالأعمش –

(4) شرح علل الترمذي 664/2 .

(5) الْحَدِيْث المعلل : 50 .

(6) هُوَ عَبْد الله بن أحمد بن حَنْبَل الشيباني ، أبو عَبْد الرحمان البغدادي ، مولده سنة (213 هـ) ، قَالَ الْخَطِيْب : كَانَ ثقة ثبتاً فهماً ، وَهُوَ راوي المسند والمسائل عن أبيه ، توفي سنة (290 هـ) .
تاريخ بغداد 375/9 ، والمنتظم 39/6 ، وتهذيب الكمال 84/4 (3145) .

(7) هُوَ مُحَمَّد بن خازم أبو معاوية الكوفي الضرير ، عمي وَهُوَ صغير : ثقة من أحفظ الناس لحديث الأعمش، وإذا حدّث عن غيره وهم ، توفي سنة (195 هـ) .
التاريخ الكبير 74/1 (191) ، ونكت الهميان : 247 ، والتقريب (5841) .

قلت لَهُ : أيما أثبت أصحاب الزهري ؟ فَقَالَ : لكل واحد مِنْهُمْ علة إلا أن يونس [8] وعقيلاً [9] يؤديان الألفاظ وشعيب بن أبي حمزة [10]، وليس هم مثل معمر ، معمر يقاربهم في الإسناد . قلت : فمالك ؟ قَالَ : مَالِك أثبت فِي كُلّ شيء ... » [11] .

وَقَدْ اهتم الإمام عَلِيّ بن المديني بهذا الباب ، فذكر فِي علله من يدور عَلَيْهِمْ الإسناد [12]، وبهذا الاهتمام البالغ استطاع الْعُلَمَاء مَعْرِفَة من يدور عَلَيْهِمْ الإسناد ، ومَنْ أَكْثَر الناسُ عَنْهُمْ جمعاً ورواية ، وَقَدْ طبقوا هَذَا المنهج عَلَى الرُّوَاة كافة حَتَّى تعرَّفوا عَلَى أوثق النَّاس فِيْهِ وأدناهم ، كَمَا تَبَّتوا حماد بن سَلَمَة [13] فِي ثابت البناني [14]، وهشام بن حسان [15] في ابن سيرين [16] . وهذه الأمور تعين الناقد عَلَى مَعْرِفَة الاختلافات ، ثُمَّ كيفية الترجيح والتوفيق بَيْنَ الروايات .

---

(8) هُوَ يونس بن يزيد بن أبي النجاد الأيلي أبو يزيد مولى آل أبي سفيان،أحد الأثبات عن الزهري وغيره ، مات في سنة (159 هـ) .
الجرح والتعديل 247/9 ، والكاشف 404/2 (6480) ، وتهذيب التهذيب 450/11.وقارن بتقريب التهذيب (7919) .

(9) هُوَ عقيل بن خالد بن عقيل الأيلي ، أبو خالد الأموي مولاهم ، روى عن الزهري فأجاد ، قَالَ يونس بن يزيد : ما أحد أعلم بحديث الزهري من عقيل ، توفي سنة (142 هـ) .
الكامل في التاريخ 528/5 ، وسير أعلام النبلاء 301/2 ، وتهذيب التهذيب 255/7 .

(10) هُوَ شعيب بن أَبِي حمزة – واسم أبيه دينار – الأموي مولاهم أبو بشر الحمصي : ثقة عابد ، قَالَ ابن معين : هُوَ مثل عقيل ويونس في الزهري ، مات سنة (162هـ) عَلَى الأصح .
الجرح والتعديل 344/4 ، ومشاهير علماء الأمصار : 182 ، وتهذيب الكمال 396/3 (2733) .

(11) العلل للإمام أحمد برواية عَبْد الله 382/1-383 (2451) .

(12) انظر : العلل ، لابن المديني : 36-39 .

(13) هُوَ حماد بن سلمة بن دينار البصري أبو سلمة البزاز . وَهُوَ ابن أخت حميد الطويل ، قَالَ ابن معين : أثبت الناس في ثابت البناني حماد بن سلمة ، توفي سنة (167 هـ) .
الطبقات الكبرى 282/7 ، وتاريخ الإسلام وفيات سنة (167 هـ) :144 ، وبغية الوعاة 548/1 .

(14) هُوَ ثابت بن أسلم البناني – وبنانة بطن من العرب – أبو مُحَمَّد البصري : ثقة كَانَ من أعبد أهل البصرة، أدرك عدداً من الصَّحَابَة ولازم أنس بن مالك وأكثر عنه ، توفي سنة (127 هـ) ، وَقِيْلَ : (126 هـ) .
الأنساب 418/1 ، وتهذيب الكمال 402/1 (797) ، وتقريب التهذيب (810) .

ثانياً. مَعْرِفَة الرُّوَاة [17] :

وهذه النقطة تتفرع إلى صور :

أ. مَعْرِفَة وفيات الرُّوَاة ومواليدهم : وهذه الصورة لها خصيصة كبيرة ؛ إِذْ بمعرفة الولادة والوفاة تتضح صورة اتصال التلميذ بالشيخ ، وإمكانية المعاصرة من عدمها .

ب. مَعْرِفَة أوطان الرُّوَاة : وهذه الصورة لها أَيْضاً خصيصة عالية إذ إن بعض الرُّوَاة ضُعِّفُوا في روايتهم عن بعض أصحاب المدن خاصة كَمَا في إسماعيل بن عياش فهو غاية في الشاميين [18]، مخلط عن المدنيين [19] ، وَقَالَ الْحَاكِم في " مَعْرِفَة علوم الْحَدِيْث " [20] : « الكوفيون إذا رووا عن المدنيين زلقوا » .

ج. مَعْرِفَة شيوخ الرُّوَاة وتلاميذهم [21] : وهذه الصورة لها أهمية بالغة ؛ إذ بِهَا يعرف السند المتصل من المنقطع من المدلس.ويستطاع من خلال ذَلِكَ التمييز بَيْنَ المجملين[22]في السند.

---

(15) هُوَ هشام بن حسان الأزدي أبو عَبْد الله البصري ، الإمام محدث البصرة ، قَالَ ابن المديني : هشام أثبت من خالد الحذّاء في ابن سيرين ، توفي سنة (146 هـ) وَقِيْلَ : (147 هـ) .
تاريخ خليفة : 424 ، وتهذيب الكمال 397/7 (7167) ، وسير أعلام النبلاء 355/6 .

(16) هُوَ مُحَمَّد بن سيرين بن أبي عمرة الأنصاري أبو بكر البصري: ثقة ثبت عابد فقيه ، كَانَ مولى لأنس بن مالك ، ولد في خلافة عثمان أدرك عدة من الصَّحَابَة ، مات سنة (110 هـ) .
الْمَعْرِفَة والتاريخ 54/2 ، وتذكرة الحفاظ 73/1 ، والنجوم الزاهرة 268/1 .

(17) الْحَدِيْث المعلل : 50 .

(18) قَالَ إمام الصنعة مُحَمَّد بن إسماعيل البُخَارِيّ : « إنما حَدِيْث إسماعيل بن عياش عن أهل الشام » . الجامع الكبير للترمذي 175/1 عقيب (131) .

(19) انظر : الكاشف 249/1 (400) . وتقدم الْحَدِيْث عَنْهُ .

(20) الصفحة : 115 .

(21) الْحَدِيْث المعلل : 51 .

(22) المجمل: هُوَ أن يَكُوْن في السند راوٍ يروي عن شيخ ولا يصرح باسم أبيه أَوْ بلقبه أو ما يميزه من غيره من الرُّوَاة الَّذِين رووا عن هَذَا الشيخ ، وَقَدْ عقد الذهبي فصلاً بديعاً في التمييز بَيْنَ السفيانيين والحمادين= =وغيرهما في كتابه " السير " 463/7-467 ، وهذا ما رأيناه في تعريفنا للمجمل وقارن في ذَلِكَ الإحكام في أصول الأحكام ، لابن حزم 42/1 ، والتعريفات ، للجرجاني : 114 .

د. **مَعْرِفَة السابق واللاحق من الرُّوَاة** [23] : وحقيقته مَعْرِفَة من اشترك في الرِّوَايَة عَنْهُ راويان متقدم ومتأخر تباين وقت وفاتيهما تبايناً شديداً فحصل بينهما أمد بعيدٌ ، وإن كَانَ المتأخر منهما غَيْر معدود من معاصري الأول وذوي طبقته [24] . ومعرفة هَذَا النوع من علوم الْحَدِيْث لَهُ أهمية كبيرة حَتَّى لا يظن انقطاع ما ليس بمنقطع ولا يجعل الصواب خطأً .

هـ. **مَعْرِفَة الثقات ودرجاتهم ومراتبهم وضبطهم وأيهم الَّذِيْ يقدم عِنْدَ الاختلاف** [25] : وهذا الأمر مهم للغاية ومن خلاله يتم الترجيح بَيْنَ الرُّوَاة .

و. **مَعْرِفَة المتشابه من الأسماء وكذا الكنى** : وهذا الأمر لَهُ أهمية بالغة في مَعْرِفَة الاختلافات . ومن خلال مَعْرِفَة المتشابه يتنبه الناقد إلى عدم الخلط بَيْنَ الرُّوَاة إِذْ قَدْ تتفق الأسماء ويختلف الشخص وعدم الْمَعْرِفَة والتمييز يؤدي إلى الخلط .

ز. **لابد من مَعْرِفَة من اشتهر بالتدليس من الرُّوَاة** : وكذلك من يرسل ، وكذا من ضعِّف حديثه لآفة صحية أَوْ تَغَيَّرَ اوِ اختلط [26] .

ثالثا. جمع الأبواب [27] :

---

(23) الْحَدِيْث المعلل : 52 .

(24) انظر : مَعْرِفَة أنواع علم الْحَدِيْث : 286 طبعة نور الدين ، وطبعتنا : 424 ، وانظر في هَذَا النوع من علوم الْحَدِيْث : الإرشاد 640/2-642 ، والتقريب : 171 ، وفي طبعتنا : 235 ، واختصار علوم الْحَدِيْث: 205 ، والشذا الفياح 570/2-572 ، ومحاسن الاصطلاح: 491 ، والمقنع 547/2-548 ، وشرح التبصرة والتذكرة طبعة دار الكتب العلمية 101/3 ، وفي طبعتنا 193/2، ونُزهة النظر : 162 وطبعة عتر : 62 ، وفتح المغيث 183/3-186 ، وتدريب الرَّاوِي 262/2-263 ،وفتح الباقي 232/2 ، وتوضيح الأفكار 480/2-481 .

(25) الْحَدِيْث المعلل : 52 .

(26) الْحَدِيْث المعلل : 53 .

(27) الْحَدِيْث المعلل : 54 .

لا يمكن للبصير الناقد أن يكشف عن الاختلافات ويقارن بينها إلا بَعْدَ جمع طرق حَدِيْث الباب والموازنة والمقارنة والنظر الثاقب ، قَالَ علي بن المديني : « الباب إذا لَمْ تجمع طرقه لَمْ يتبين خطؤه » [28].

الدكتور
ماهر ياسين الفحل
العراق /الأنبار/الرمادي/ص .ب 735
al-rahman@uruklink.net

(28) الجامع لأخلاق 212/2 (1641) .